سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز
الحكيم ﴿١﴾ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا
عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وإن كانوا
من قبل لفي ضلل مبين ﴿٢﴾ وءاخرين منهم لما يلحقوا بهم
وهو العزيز الحكيم ﴿٣﴾ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم ﴿٤﴾ مثل الذين حملوا التورية ثم لم
يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم
الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظلمين ﴿٥﴾
قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من
دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صدقين ﴿٦﴾ ولا يتمنونه
أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظلمين ﴿٧﴾ قل إن
الموت الذي تفرون منه فإنه ملقيكم ثم تردون
إلى علم الغيب والشهدة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴿٨﴾

٥٥٣

معانى الكلمات :

يسبح لله : يقدس الله ويمجده .

الأميين : العرب المعاصرين له ﷺ .

ويزكيهم : ويطهرهم من أدناس الجاهلية .

حملوا التوراة : كلفوا العمل بما فيها .

أسفاراً : كتبًا عظاما ولا ينتفع بها .

هادوا : تدينوا باليهودية .

زعمتم : ادعيتم .

ملاقيكم : سيأتيكم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على عظمة الله تعالى وخضوع الكون بما فيه لإرادته تعالى .

٢ ـ أن نعلم نعمة الله ومنته على العرب ببعثة رسوله ﷺ فيهم .

٣ ـ أن نعلم طبيعة اليهود وانحرافهم عن شريعة الله وعدم عملهم بأحكام التوراة .

المحتوى التربوى :

يقرر مطلع السورة حقيقة التسبيح المستمرة من كل ما فى الوجود لله ، ويصفه ـ سبحانه ـ بصفات ذات علاقة لطيفة بموضوع السورة ، ومن ثم تذكر : الملك الذى يملك كل شىء بمناسبة التجارة التى يسارعون إليها ابتغاء الكسب ، وتذكر القدوس الذى يتقدس ويتنزه ويتوجه إليه بالتقديس والتنزيه كل ما فى السموات والأرض ، بمناسبة اللهو الذى ينصرفون إليه عن ذكره ، وتذكر العزيز بمناسبة المباهلة التى يدعى إليها اليهود والموت الذى لابد أن يلاقى الناس جميعا والرجعة إليه والحساب ، وتذكر الحكيم بمناسبة اختياره الأميين ليبعث فيهم رسولا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . ثم يبدأ موضوع السورة ؛ فقد اقتضت حكمة الله أن يبعث رسولا وأن يكون من العرب من الأميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون ـ غير اليهود ، فقد علم الله أن يهودًا قد فرغ عنصرها من مؤهلات القيادة الجديدة

الكاملة للبشرية ، وكانت هناك دعوة إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام ، وتحققت هذه الدعوة بنصها ، والمنة ظاهرة فى اختيار الله للأميين ليجعلهم أهل الكتاب المبين ، وليرسل فيهم رسولًا منهم ، يرتفعون باختياره منهم إلى مقام كريم ، ويخرجهم من أميتهم أو من أمميتهم بتلاوة آيات الله عليهم ، وتغيير ما بهم ، وتمييزهم على العالمين .

وإنها لتزكية وإنه لتطهير ذلك الذى كانوا يأخذهم به الرسول ﷺ تطهيرًا للضمير والشعور ، وتطهيرًا للعمل والسلوك ، وتطهيرًا للحياة الزوجية ، وتطهيرًا للحياة الاجتماعية ، تطهيرًا ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد ، ومن التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح ، وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيمانى ، إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة ولحياة السريرة وحياة الواقع ، ويعلمهم الكتاب فيصبحون أهل كتاب ، ويعلمهم الحكمة فيدركون حقائق الأمور ، ويحسنون التقدير ، وتلهم أرواحهم صواب الحكم وصواب العمل وهو خير كثير ، وقد كانوا مستبدلين بالتوحيد شركا ، وباليقين شكا ، وكانوا فى ضلال مبين . وقد اختار الله ـ سبحانه ـ تلك الأمة البدوية فى شبه الجزيرة الصحراوية لتحمل هذا الدين ، بما علم فى نفوسها وفى ظروفها من قابلية للاستصلاح وذخيرة مرصودة للبذل والعطاء ، فأرسل فيهم الرسول يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وكما بعثه فى الأميين الذين على عهده ، وفى آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد ، وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم ، من كل من دخل فى الإسلام إلى يوم القيامة ، أو أن هؤلاء الآخرين هم الأعاجم وكل من صدق النبى ﷺ من غير العرب ، والله هو القوى القادر على الاختيار ، الحكيم العليم بمواضع الاختيار ، واختياره للمتقدمين والمتأخرين فضل وتكريم ، وإن اختيار الله لأمة أو جماعة أو فرد ليحمل هذه الأمانة الكبرى ، وليكون مستودع نور الله وموضع تلقى فيضه ـ فضل لا يعدله فضل ، فضل عظيم يربو على كل ما يبذله المؤمن من نفسه وماله وحياته ، ويربو على متاعب الطريق وآلام الكفاح وشدائد الجهاد .

بعد ذلك يذكر ما يفيد أن اليهود قد انتهى دورهم فى حمل أمانة الله ، فلم تعد لهم قلوب تحمل هذه الأمانة التى لا تحملها إلا القلوب الحية الفاقهة المدركة الواعية المتجردة العاملة بما تحمل ، فبنو إسرائيل حملوا وكلفوا أمانة العقيدة والشريعة للعمل بها ، ثم لم يعملوا بها ، وسيرة بنى إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم ـ وكما هى فى حقيقتها ـ لا تدل على أنهم قدروا هذه الأمانة ، ولا أنهم فقهوا ـ حقيقتها ، ولا أنهم عملوا بها ، ومن ثم كانوا كالحمار يحمل الكتب الضخام ، وليس له منها إلا ثقلها فهو ليس صاحبها ، وليس شريكا فى الغاية منها ، وهى صورة زرية بائسة، ومثل سيئ شائن للذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين .

والذين يعيشون فى هذا الزمان ، وهم يحملون أسماء المسلمين ، ولا يعملون عمل المسلمين وبخاصة أولئك الذين يقرؤون القرآن والكتب ، وهم لا ينهضون بما فيها ، أولئك كلهم كالحمار يحمل أسفارا وهم كثيرون كثيرون ، فليست المسألة مسألة كتب تحمل وتدرس ، إنما هى مسألة فقه وعمل بما فى الكتب .

وكان اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أولياؤه من دون الناس ، وهاهنا دعوة لهم إلى المباهلة ، وقد خاف كل من دعاهم رسول الله ﷺ إلى هذه المباهلة ونكلوا عنها ، ولم يقبلوا التحدى فيها ، مما يدل على أنهم فى قرارة نفوسهم كانوا يعرفون صدق رسول الله ﷺ ، وحقية هذا الدين ، وقد لا تكون هذه مباهلة ولكن مجرد تحد لهم ، بما أنهم يزعمون أنهم أولياء لله من دون الناس ، فما يخيفهم إذن من الموت ، ويجعلهم أجبن خلق الله ؟ وهم حين يموتون ينالون ما عند الله مما يلقاه الأولياء والمقربون ؟ !

ثم عقب على هذا التحدى بما يفيد أنهم غير صادقين فيما يدعون ، وأنهم يعرفون أنهم لم يقدموا بين أيديهم ما يطمئنون إليه ، وما يرجون الثواب والقربى عليه ، وإنما قدموا الكفر والظلم والفجور ، وقدموا المعصية التى تخيفهم من الموت وما وراءه والله عليم بالظالمين .

وفى الجولة يقرر السياق حقيقة الموت وما بعده ، ويكشف لهم عن قلة الجدوى فى فرارهم من الموت ، فهو حتم لا مهرب منه ،و ما بعده من رجعة إلى الله ، وحساب على العمل حتم كذلك لا ريب فيه ، وهى لفتة من اللفتات القرآنية الموحية للمخاطبين بها وغير المخاطبين ، تقر فى الأخلاء حقيقة ينساها الناس ، وهى تلاحقهم أينما كانوا ، فهذه الحياة إلى انتهاء ، والبعد عن الله فيها ينتهى للرجعة إليه ، فلا ملجأ منه إلا إليه ، والحساب والجزاء بعد الرجعة كائنان لا محالة ، فلا مهرب ولا فكاك .

فحقيقة الموت الذى يفر منه المكذبون ؛ أنه ملاقيهم مهما فروا ، وأنهم مردودون إلى عالم الغيب والشهادة فمنبئهم بما كانوا يعملون ، وهو تقرير لا يخص اليهود وحدهم ، إنما يلقيه القرآن ويدعه يفعل فعله فى نفوس المؤمنين كذلك ، فهذه الحقيقة لابد أن تستقر فى نفوس حملة أمانة الله فى الأرض لينهضوا بتكاليفها وهم يعرفون الطريق .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ اختار الله ـ تعالى ـ المسلمين لحمل أمانة العقيدة إلى العالم كله وعليهم أن يقوموا بتبليغ هذه الرسالة إلى العالمين بكل الوسائل الممكنة .

٢ - حقيقة الموت لابد أن تستقر فى نفوس حملة أمانة الله فى الأرض لينهضوا بتكاليفها .

٣ـ ليست المسألة مسألة كتب تحمل وتدرس ، إنما هى مسألة فقه وعمل بما فى الكتب .

الجزء الثامن والعشرون — سورة المنافقون

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ
فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
(١٠) وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ
مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١)

سُورَةُ ٱلْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ (١)
ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)

الحزب ٥٦

٥٥٤

معانى الكلمات :

ذروا البيع : اتركوه .

فانتشروا: فتفرقوا للتصرف فى حوائجكم.

ابتغوا : اطلبوا .

انفضوا : انصرفوا .

جنة : وقاية لأنفسهم وأموالهم

فطبع : فختم بسبب الكفر .

لا يفقهون : لا يعرفون حقيقة الإيمان .

يؤفكون : يصرفون عن الحق .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر أهمية صلاة الجمعة والاستماع إلى خطبتها .

٢ ـ أن نتعرف على التوازن الذى يتسم به المنهج الإسلامى .

٣ ـ أن نعلم طريقة المنافقين فى مداراة ما فى قلوبهم من الكفر .

المحتوى التربوى :

يقول صاحب الأساس : « إن ذكر تشريع الجمعة وبعض ما يتعلق بها فى سياق سورة الجمعة يعطينا دلالات معينة منها:أن صلاة الجمعة وخطبتها ينبغى أن تحقق ما بعث من أجله محمد ﷺ، وأن تجنب هذه الأمة ما وقعت فيه بنو إسرائيل ، وفى ذلك درس لخطيب الجمعة وللمستمع ، هذا وقد ذكر فى الفقرة الأخيرة كل ما ينهض على أداء الجمعة ، ويبعد عن إهمالها كما ذكر مقدمة لذلك كل ما يبعث عليها ، وفى ذلك درس من دروس هذا القرآن ؛ إذ يجعل التكليف فى إطار يحمل على غاية الالتزام » .

وصلاة الجمعة هى الصلاة الجامعة التى لا تصح إلا جماعة ، وهى صلاة أسبوعية يتحتم أن يتجمع فيها المسلمون ويلتفوا ويستمعوا إلى خطبة تذكرهم بالله ، وهى عبادة تنظيمية على طريقة

الإسلام فى الإعداد للدنيا والآخرة فى التنظيم الواحد وفى العبادة الواحدة وكلاهما عبادة ، وهى ذات دلالة خاصة على طبيعة العقيدة الإسلامية الجماعية ، وقد وردت الأحاديث الكثيرة فى فضل هذه الصلاة والحث عليها والاستعداد لها بالغسل والثياب والطيب .

وتأتى الآية الأولى فتأمر المسلمين أن يتركوا البيع وسائر نشاط المعاش ـ بمجرد سماعهم للأذان ، وترغبهم فى هذا الانخلاع من شؤون المعاش والدخول فى الذكر فى هذا الوقت ، وترك البيع والإقبال إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم فى الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون ، ثم يعود إلى مشاغل العيش مع ذكر الله ، وهذا هو التوازن الذى يتسم به المنهج الإسلامى ، التوازن بين مقتضيات الحياة فى الأرض ، من عمل وكد ونشاط وكسب ، وبين عزلة الروح فترة عن الجو وانقطاع القلب وتجرده للذكر ، وهى ضرورة لحياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتلقى والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى ، وذكر الله لابد منه فى أثناء ابتغاء المعاش ، والشعور بالله فيه هو الذى يحول نشاط المعاش إلى عبادة ، ولكنه ـ مع هذا ـ لابد من فترة للذكر الخالص ، والانقطاع الكامل ، والتجرد المحض .

ويعاقب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التى قدمت المدينة يومئذ ، وكانت التجارة لدحية بن خليفة قبل أن يسلم ، وكان معها طبل ، فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائما على المنبر إلا القليل منهم ، وفى الآية تلويح لهم بما عند الله وأنه خير من اللهو ومن التجارة ، وتذكير لهم بأن الرزق ما عند الله لمن توكل عليه ، وطلب الرزق فى وقته .

سورة المنافقون

تتضمن هذه السورة حملة عنيفة على أخلاق المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم ، وما فى نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين ، ومن اللؤم والجبن وانطماس البصائر والقلوب ، وتبدأ السورة بوصف طريقتهم فى مداراة فى قلوبهم من الكفر ، وإعلانهم الإسلام والشهادة بأن النبى ﷺ هو رسول الله ، وحلفهم كذبا ليصدقهم المسلمون ، واتخاذهم هذه الأيمان وقاية وجنة يخفون وراءها حقيقة أمرهم ، ويخدعون المسلمين فيهم .

فهم كانوا يجيئون إلى رسول الله ﷺ فيشهدون بين يديه برسالته شهادة باللسان ، لا يقصدون بها وجه الحق إنما يقولونها للتقية ، وليخفوا أمرهم وحقيقتهم على المسلمين ، فهم كاذبون فى أنهم جاؤوا ليشهدوا هذه الشهادة ، فقد جاؤوا ليخدعوا المسلمين بها ، ويداروا أنفسهم بقولها ، ومن ثم يكذبهم الله فى شهادتهم بعد التحفظ الذى يثبت حقيقة الرسالة ، والتعبير يبادر بتثبيت الرسالة قبل تكذيب مقالة المنافقين فى إقرارهم فهم لا يقرون الرسالة حقا ولا يشهدون بها